تتمة المنشور في العدد الماضي

الفصـــل الثالث

المشهد الاول

(ترفع الستارة ، المسرح في عتمة الغروب الخفيفة ، بيير وريمون يخطران في الغرفة باديي القلق)

بيير ـ (يتوقف) وهذه ورقة اخرى ، ريمون اني اعتزم الكتابة اليها..

ريمون ـ لماذا تعتزم الكتابة اليها دون الجميع ؟

بيير ـ نعم ، لماذا ؟ (يلوح بذراعه) لقد كان صامتا منطويا تلك الليلة، لماذا ؟ ما يدريني؟

ريمون ـ (في لهجة متضرعة) ولكنها خيانة ، الم يعمل عقله ؟ ماذا ترى يقولون في فرنسا ؟ (فترة) دعني افض هذه الورقة ..

بيير ـ (مجفلا) ماذا ؟

ريمون ـ اوه ، اوه ولكن اي شيء يتصل به سوف يعدم ... هو ، رتبته ، جنسيته ، اوراقه (في نبرة يائسة) روجيه ، روجيه ، لماذا فعلت هذا ؟

بيير ـ تلك الفاجعة التي حدثت هنا .. لقد صدعت روحه ..

ريمون ـ دعني افض الورقة (يبسط بيير الرسالة بحركة الية فيتناولها ريمون ويمزق غلافها ، ثم يشرع في القراءة) اتريد ان تسمع ما تقوله الفتاة ؟ يا الهي، المسيحية الصغيرة ، ما اكثر ما تلذع هذه الحروف ، يا الهي ! اي قلب محرق يستكن خلفها : التطهر ! اي شيء هذا يا بيير؟

بيير ـ دعني ..

ريمون ـ (يقرأ) « يا صديقي .. ان كلماتك التي تطفح بالندم تبهظ صدري ، ان كلماتك مسمومة ، ملتاعة ، بأية مشاعر مؤسية تواجه حياة الخطيئة هناك ؟ ولكن .. لماذا لا تجرب اكتشاف الطريق الى الله ؟ لماذا لا تذعن في خضوع المسيحي المؤمن لما يلزمك به الموقف » (بتردد) .. اية كلمات (يتابع القراءة) ... « اتظن من المحتم عليك ان ترفض الموقف ؟ الا تدرك ان هذا هروب من التجربة ؟ يا صديقي ! اغمس روحك المتحفظة الشاكة في قلب هذا الروع اليومي ، دع روحك تطفو فوقـــه ... »

بيير ـ ريمون .. ارجوك ..

ريمون ـ (يتوقف) الا تحس طعم الكلمات المصهورة ، الثقيلة ؟ من اين ياتي الامل لهؤلاء المساكين .؟

بيير ـ بدون امل ، نعم ، ولكن طريقهم يؤدي الى الغرابة والى الله معـا ...

ريمون ـ الا تظن انها مسؤولة عن دفعه ؟.

بيير ـ ربما !!

ريمون ـ وبماذا ترد عليها ؟ من اين لك هذا الانبهار الروحي ؟ اليس من عجب ان يقود مثل هذا الايمان الى الخيانة ؟

بيير ـ (محتدا فجاة) اية خيانة ؟ ان الله هو الوطن ، هو منطلق كل شيء ، يحسب روجيه انه مسوق في اختياره بهذا الايمان ... نعم ... بهذا الانبهار الى الله..

ريمون ـ حتى عندما يقتل اخوته المسيحيين ؟ حتى وهو مع الكفـار جنبا الى جنب ؟

بيير ـ حتى وهو مع الكفار ..

ريمون ـ اذن (يلقي اليه بالورقة) .. دعه يعدم ، ماذا تظن ؟

بيير ـ اظن ، اظن انه يستشعر مثل هذا الشوق الذي يملأ قـــلوب شهدائهم يقينا ...

ريمون ـ (مقاطعا) يقينا الى ماذا ؟

بيير ـ لست ادري ...

ريمون ـ ادري ، ادري شيئا واحدا ، انه غادر موقعه في صـــف فرنسا .. ليلتحق بالثورة ، ليحول دون النصر ، ليعطي فرصة ثـانية للقتل .. ليبرر مسلك العنف ، اخيرا ، اخيرا ليهدم الله الكاثوليكي ذاته ..

بيير ـ (في نبرة غريبة) .. ما الفرق بين طريقه وطريق الكابتن ؟

ريمون ـ اوه ...

بيير ـ الم يرفض هو الاخر

ريمون ـ بلى .. رفض التعذيب فحسب ..

بيير ـ شيء اخر يا صديقي ، لقد رفض الاستمرار ، كان يعلن ذلـك على الملأ ، في الحانة قبل ان يذهب .. اعترض طريقي وامسكني مـن تلابيبي ، وهو يترنح ثملا ، كان يقول « اخبرني ، اي شيء هو ان نكـون كما نحن تماما ؟ اي شيء يختبيء تحت جلدي ؟ اي شيء يرفض ان يخرج من هذا الهيكل المسكين ؟ » كان يهزني ويقرع على صدره .

ريمون ـ ولكنها ليست خيانة ، ليست خيانة ان يقتل في ميدانـــه

الذي جعل له ..

بيير ـ هل التعذيب اكثر حقيقة من القتل ؟ انتبه يا ريمون ! انها فكرة الاستمرار ، انها الغضب من الاستمرار ، كان يردد شيئا اخر تلك الليلة « رجل بأجهزة ، رجل باجهزة ، رجل بأجهزة ».. ويعقب بين مقاطع العبارات « انا هو .. رجل باجهزة ! » شيء اخر يا ريمون : كان يقول لي وهو يغمس يديه في جردل الثلج ويبلل رأسه في حركات عابثة مكررة : « ان معدتي تقودني .. ان معدتي تسوقني الى القتل ، يجب ان اقتل .. كل شيء .. يجب ان اقتل كل شيء حتى اتحرر »

ريمون ـ (متخلصا) لقد كان ثملا ، هذا هو كل شيء...

بيير ـ ولكنه قتل دفعة واحدة !

يمون ـ نعم ، في شجاعة لامثيل لها ، في شجاعة رمزية ..

بيير ـ (في نفس النبرة الغريبة) اني افهم روجيه .. انه هو من خلف جلد الكابتن ، انهما اكثر شجاعة منا ، لقد غلى الغضب فيهما حتى انفجرت الروح ، كما تنفجر سحابة مثقلة ، فتسقط حملها ... انه هو الكابتن ..

ريمون ـ (متوسلا) بيير ..

بيير ـ كفى ، أيها العزيز ، اني معني بنفسي كفاية ...

ريمون ـ نبراتك الغريبة يابيير !..

بيير ـ الغضب ، ماذا كانت تقول الصغيرة .. « اجعل روحك تطفو فوقه » كلا ان عباب الغضب لا يقدر على حملنا ، يجب ان نغوص ، او ان نتخلى (يتردد) لدي طريقة مع ذلك ..

ريمون ـ طريقة ؟ بسبب ماذا ؟

بيير ـ (مبالغا) كلا ، لست على ثقة بعد من شجاعتي ، انما .. (يتطلع اليه بنظرات ثابتة) ..

ريمون ـ نعم ....

بيير ـ احسب ... اني املك القدرة ... على التوقف فقط ...

ريمون ـ ماذا يعني التوقف ؟

بيير ـ لاشيء ، مجرد ان يمسك الانسان نفسه .. .

ريمون ـ ولكن بماذا يمسكها ؟

بيير ـ ان اتوقف ... يعني ان انتزع من غضبي ، او ان اجعله يطلقني ...

ريمون ـ بماذا ، بماذا ؟

بيير ـ (مندفعا في حماسة متزايدة) اوه ، ولكن لماذا تطاردني بهذه الاسئلة ؟ اني لااملك القدرة على الاستمرار ، او التراجع ، ان غبار هذه الارض الخراب يخنقني ، اني مشدود اليها ، يجب ان اتخلص ، حتى يراب الصدع .. ذكرياتي ، تجاربي ، كلها مصدوعة ، من اين اتيت ؟ أتذكر انت من اين اتيت ؟ فرنسا ، ولكن ماهي فرنسا ؟..

لماذا اقتل ؟ لماذا اتعذب ؟ لماذا انا معلق على هاوية اللحظة ؟ لقد دفعت بنية صغيرة هنا .. .هنا تماما الى الموت حتى تتخلص من كل ماهو مقدس ومرغوب على الارض ، ودفعتها الى الموت لانها نشئت على محبة الغير ، والتعلق بالشرف ، والتضحية بالنفس ، لمساعدة الاخرين ، يجب ان تموت اختي اذن ، ولكنها ماتت ايضا في نفس اللحظة ... في وجه اي من المحن سوف تصمد تبريراتنا ، أليست نوعا من الهروب المخجل من مواجهة الحقيقة ؟ اننا نقتل الحضارة ، نقتل المثل، كل شيء يذبل هنا ، عندما اختنقت الصبية من الرعب اختنق معها عشرات الملايين من فتيات العالم ، كل العذارى ، هذه هي فرنسا كلها تسقط عند قدمي ، فماذا تكون فرنسا اذن ؟ أليست هي اختي وامي واخي وصديقي ، أليست هي المثل التي جندت من اجلها (يتقدم صوب رفيقه ويرفع اصبعه في وجهه) لقد اخترت طريقي ، سوف افشي سر التعذيب للجنة ...

(يدخل الملازم جاك في هدوء من الباب الخارجي ويتسمر عند العتبة، مصغيا الى عبارات الفتى المتلاحقة ، الغاضبة).

الملازم ـ (وهو على العتبة) سوف تفعل ماذا ؟ (يلتفت الشابان فجأة باتجاه الباب) هيا ، أهي الحضارة المجندلة ؟ أهي المثل التي تدفعك هذه المرة ؟

ريمون ـ (مضطربا) ياسيدي الملازم ، انه لم يكن يعني ...

الملازم ـ يعني ماذا ؟

ريمون ـ لقد كان ماخوذا ، تعلم فجيعته ، ان روجيه .. صديقنا بالامس ...

الملازم ـ الخائن ...

بيير ـ كلا ، انه لم يكن خائنا (الى ريمون) وكذلك ، فلست ماخوذا ايضا ..

الملازم ـ (يزداد اقترابا) لم يكن خائنا اذن ، بماذا تسمي هروبه ؟

بيير ـ لقد استلبه الغضب ، ان ما يجري هنا ليس انسانيا ...

الملازم ـ واذن ، الم تر الى صور رفاقك المنزوعة افواههم ، المفتوحة على غور بشع بدل الشفتين الحيتين ، القادرتين على ان تجريا مثل سخفك ، الم تر ؟

بيير ـ (يحجب وجهه بيديه) لست ادري ، لست ادري ، انني مخنوق ...

الملازم ـ بل افتح هاتين العينين المرتعبتين ، ان القادمين من فرنسا سوف ينفثون في وجهنا دخان لفائفهم ، ويسجلون على الورق ويحاولون ان يعصبوا جرح فرنسا ، الجرح الذي ينزف شرفها هنا ... سحقا لهم ! لقد نزفت جروحنا كفاية ، يلزم فرنسا دم ، دم (يصر على الكلمة بوحشية) دم ...

بيير ـ لقد كنت واقفا ، كنت تتطلع صوبها بعينين مسمرتين مذهولتين ولكن بين يديانا ، بين يدي انا ، انفجر صدر الصبية ..

الملازم ـ (يتصنع الضحك) الصبية ، هذا هو سرك الذي تخبئه ، اتريد اذن ...

بيير ـ (في نبرة متوسلة) انتظر ، دعني افرغ غضبي ، اواه ، اواه، كيف يمكنني ان احبس هذا الغضب ؟ (يتحدث وهو في شبه غيبوبة) كانت تتطلع في صميم نفسي ، لم يكن ذلك انا فحسب ، احسست ان نظراتها تهزني ، تجردني من بلادتي ، تسقطني في اليقظة المرعبة ، اواه لقد كانت بريئة ، صغيرة يا سيدي كما لا يمكن ان يتجاوز ، كانت بريئة الى ماهو فوق طاقتي على التصبر ، كيف يمكنني ان اتجلد اذن ؟ اني مسؤول عن براءتها ، مسؤول عن نقلها الى الناس ، اواه...

الملازم ـ (يهزه من ذراعه) ـ كفى انتحابا ، ان هذا لا يليق بجندي ،

بيير ـ ماذا ؟ ـ تقول جنديا ؟ ابعد ان سقطت بين يدي هل استطيع ان استمر ؟ لقد هتكت ردائي ؟ اني مسربل بنظرات عينيها الطفلتين ، اني معصب بجدائل هذا الطهر المسفوح من اعماقها ، (يتلمس جسده) اين كسوتي ؟ اين هي ياسيدي ؟ دلني ، ارجوك ، اين هي ؟

ريمون ـ سيدي الملازم ، اذن لم يسحبه ...

بيير ـ (يتلفت صوبه) انت لاتذكر شيئا ، لانك لم تعلم ، ياصديقي

... ياصديقي ... .يقول اني جندي ! اليك هذه القصة .. كانت تقصفني وهي تحدق صوبي في براءة ، دائما في براءة ، كانت تقصفني كاني كتلة هشة من الثلج ، ومع ذلك فقد كنت احس بنفسي طافيا ، واني اوغل في حريتي ، كنت اكتشف مع الثواني اني مظلوم .. .مظلوم بقدر ماهي مظلومة ، كنت ادرك ان الادوات التي نتخاطب بها نحن البشر تنسحب فيما بيننا ، وتمحي حدودها وفواصلها .واني افهم الصبية واختلط بها اختلاطا مروعا ، ريمون ، ريمون ، ريمون ... ان الشيطان نفسه لم يكن قادرا على مواجهتها دون ان تمحي صورته الخاطئة ليرتسم بدلها على بللور روحه براءة نفسها الشفافة الطاهرة ، المعذبة ! الله ... الله ياريمون الذي يشرف من عينيها .. .الله ..

الملازم ـ (يقفز من مكانه) ايها المأخوذ ، لتحل بك اللعنة ! اين هو ؟ اين هو ذلك الاب ؟ لقد كان الساعة برفقتي (يضغط على زر على الطاولة) انكم جميعا تتحدثون بمثل هذا ، اتظن ان ذلك الكابتن ... لااحد هنا (يضغط على الزر ويندفع في اللحظة ذاتها جندي) استدع الاب .. فورا .. .فورا ..

الجندي ـ اي أب يا سيدي ؟

الملازم ـ عليك اللعنة ، جره من المعسكر ... عندما ترى احدهم مجلببا برداء سابغ مسود ، جره الي ، هيا ... (ينطلق الجندي) ان الشياطين هي التي تهذي من اخلال افواهكم ... لقد استبد بكم الجنون عندما انبئتم باللجنة .. .اية لجنة ، سحقا لكم (الى بيير) ايها الفتى سأوقفك حالا ! سأوقفك حالا انك تسيء الى معنويات الجيش حالا ... .

بيير ـ (عازما) اني آت اليك بنفسي ياسيدي ...

الملازم ـ ماذا ؟

بيير ـ انها هنا في صدرك ، انها تتقمصك كما تتقمص الروح الجسد ، انها عيناك اللتان تنظر من خلالهما الى العالم ، انها قلبك ياسيدي الملازم ، قلبك الذي اقتنصته (يتحسر) ادواتك الاسرةياسيدي الطاغية ، ادواتك المستعبدة ، لقد استبدلت بها ...

الملازم ـ اتريد ان تهينني ؟ اتريد غضبي فوق ذلك ؟.

بيير ـ ولكنك لاتغضب ياسيدي ، الغضب البشري شيء اخر ... ان هذا الذي يشتعل في داخلك هو غضب الالات ، تدق .. تدق ... تدق .. .اني اعاني من اليتها بنفسي ، ولكن الغضب البشري شيء اخر..

الملازم ـ (يتقدم منه) دعني ارى ذلك ، دعني اراه ، الا تلاحظ فضولي ؟

بيير ـ لماذا ياسيدي ؟ سوف يعجزك فهمه ، ان القتل يجعل القلب الانساني قاسيا وقد ينهدم فجاة ، وقد يمتلىء بالجفاف حتى يصبح ناشفا كالصحراء حتى ....

الملازم ـ حتى .. .استمر ..

بيير ـ ولكنه ينقلب فجاة ويصبح حنونا ، متهالكا ، نديا ، ندواة الصحراء الصباحية ، وعندها ، وعندها يستاقه شيء ما الى الراحة، كما يستاق النوم خاطراتنا فياخذها بعيدا .. بعيدا جدا (يتوقف) لقد كان غضب الكابتن من هذا النوع ، كان باسلا ، وميها للصدع ، فقد رفض ان يستبدل اعضاءه بالات ..

الملازم ـ اتريد ان تقول ان الكابتن ...

بيير ـ تعلم ذلك ياسيدي الملازم ، لقد كان ذاهبا الى الموت ، كنت تدفعه اليه ، كما تدفعنا نحن ، تريد لدائن فولاذية بين يديك ياسيدي الملازم ؟ وعندما تكتشف بين ثناياها قلبا تمسكه بين اصبعيك هذين ...

(يطرق الباب ويدخل الاب جولي)

الملازم ـ ادخل ياسيدي ، ولكن دعه يستمر .. .اليك مقعدا ... سوف يغبطك مشهد هذه الثمار، هؤلاء هم اطفال الكنيسة ، تقدم ياابي .

(يتسمر الاب عند الباب) ، والان ، استمر ...

بيير ـ ماالفائدة ؟ انك تريدني ، كلا .. فانا الذي اريد ، خذني ياسيدي الملازم .. ولسوف اعطيك اقوالا ... فانت وسيلتي ..

الملازم ـ وسيلتك .. ولكن الى ماذا ؟ اتتظاهر اذن بانك ممسوس؟

بيير ـ اني مدفوع اليك ، ليت الامر بيدي ..

الملازم ـ (الى الاب جولي) اقترب ايها المحترم ، ادن مني .. انه مأمور بان يسوق نفسه الي ، الا تلاحظ ايها المحترم ؟ انه مأمور ..

بيير ـ قد يشفيك هذا يا سيدي الملازم ... هذه حالة جديدة . انك تتعقب الثوار ، فتعذ بهم ، ولكني حالة اخرى ، اني آت بارادتي ، اني آت لاجعلك تعذبني ، لقد انهدم قلبي فجاة عندما قتلت الصبية ، لم يكن امامي اذن الا ان استبدله ـ كما فعلت انت منذ زمن ـ بآلة ، ولكني رفضت (يتوقف) لو كان احد يستطيع ان يضع في صدري قلب طفل جديد (يلتفت صوب الاب جولي) اني لا اصدقكم ... انكم غشاشون ! انكم تلصقون ورقة موضع الصدع كما لو ان القلب مصنوع من زجاج ولكنك تعلم ان القلب البشري ليس زجاجا ...

دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

قضايا جديدة في ادبنا الحديث	للدكتور محمد مندور
في ازمة الثقافة المصرية	لرجاء النقاش
نزار قباني شاعرا وانسانا	لمحيي الدين صبحي

الاب جولي ـ (يتقدم صوبه) كنت تعني الكنيسة يا بني ؟

بيير ـ (يشيح بوجهه) لا فائدة يا ابت .. ان النظام ظالم .. ظالم دائما

الاب جولي ـ ولكن يا بني ، ربما كنت مخطئا ، ان الكنيسة ترعى الخراف الضالة ، وكثيرا ما يظن احدنا انه اكتشف الطريق خطأ خارج الكنيسة ، ربما ...

بيير ـ صدقني يا ابت .. يحرقني شوق الى ان اؤمن .. ولكني فقدت الله .. ضاع مني .. فهو لم يصمد للمحنة يا ابت ...

الاب جولي ـ اواه يا بني ! يظن احدنا لحظات انه متروك ، ولكن الله..

بيير ـ (يقاطعه) اية وحشة ! ان صقيع وحدتي خير من تخليه عنا.. خير من مطاردته الى حيث لا مكان .. ولا امن .. لقد تعبت من تدبير العزاء ، تعبت من الدفاع عنه ، تعبت من تبرئته .. ولكني الان مهجور تماما ...

(يذهب الملازم خلف المنضدة ، ويشرع في الكتابة ، يلاحظ ان ضوء النهار الغارب يعتم المكان ، فيفتح التيار الكهربائي على المنضدة ..

الملازم ـ (يرفع رأسه) ان علي ان اعد تقريرا ايها الفتى ، اني احسب ان شيئا ما قد مس في رأسك .. انك تهذي (الى ريمون) .. ماذا تظن ؟

ريمون ـ (مندفعا بحماسة وقد خيل اليه ان وسيلة ما لانقاذ صديقه قد سنحت له) يا سيدي الملازم ! ... سوف احاوره قليلا

الملازم ـ بهدوء ، ان اللجنة تقترب من هنا ، انتبهوا ، الا تشمموا رائحتها القذرة ؟ اواه ، اواه من هذه الجمهورية الام (يلوح بذراعه وينكب على الكتابة) ـ

الاب جولي ـ تعني ان اللجنة (يشير الى المكان) هنا ..

الملازم ـ لا تخش شيئا يا ابت ! لقد اخلي المكان (يضحك) اتريد يا ابت ان تساعد ـ عملا باوامر الكنيسة ـ هذا الفتى ، .. والان هدوءا!

(ينكب على الكتابة)

ريمون ـ (يهرع الى بيير يتحدث همسا) بيير.. بيير .. انك لم تقترف جرما ، لماذا بحق الله ؟

بيير ـ (في صوت كسير مطرق الرأس) سوف تحزن قليلا ثم ينتهي كل شيء (فترة) اتذكر يا صديقي ؟.. الغضب .. رسائل الصديقين ... احزاننا الحارة العميقة ... العذبة ، عذوبة المساء ...

ريمون ـ اذكر ، ولكن يجب ان اساعدك ..

بيير ـ (مندفعا بنفس الصوت الخفيض الحار ، المختنق) ترددنا .. هروبنا المستمر خلف مدارات تعبنا اليومي ، انجسار مد عواطفنا عن الصدف الزائف المتلالىء مع ذلك ، اية شطآن مجهولة كنا نقذف بانفسنا اليها ! .. آمالنا المدحورة في ان نلتقي مع انفسنا مرة ، ان نمسك تراب عواطفنا الحقيقية ، ان يقبل علينا اليأس ، ان نكف عن الجري وراء يقيننا السرابي (يتوقف) ريمون ... ايها الصديق ... لماذا لا تتردد علي الان .. الان فحسب ذكريات طفولتي ..

ريمون ـ مهلا .. اواه (يمسك بيديه) دعني اساعدك ، اني لا افهم ، لا افهم شيئا ..

بيير ـ اعطني قلبا فتيا مهيأ للحب .. اعطني الحماسة ، اعطني طفولتي ، اعطني اشيائي المسروقة ..

ريمون ـ ولكن يا الهي ، سوف يعطونك مظليا مفتولا بدلا من هذا... اسامع انت ؟ اسامع باذنيك الحقيقيتين ؟

بيير ـ اي شيء هو حقيقي ؟ كنت تؤثر ان اقتل ، ان اجعل من نفسي بطلا ... ولكن ذلك هراء ! يجب ان نقف في وجه اليأس اخيرا ايها الصديق ... يجب ان نقف في وجهه لا ان نتابع الجري على دربه ...

ريمون ـ لقد فعلت ، ولكن دمك المشتعل غضبا وتمردا لن يجدي .. انها الارض الخراب ، الا تريد ان تنقذ من التيه ؟ .. دعني اساعدك من اجل الله ، من اجل طفولتنا .. يا الهي .. توقف قليلا ..

الاب جولي ـ كيف يمكن ان يستمر هذا ؟ انه مفقود ، بدون الله ..

بيير ـ (يهمس للاب) لقد مات الله يا ابت .. لقد سقط هنا ، الله والشرف والامانة ، كذلك سقطت انا ، اني في مجهد ، اني يائس ، انيندمان اني مقتول ، يا ابت هناك شيء ما هنا في صدري يطاردني ، انها ذاتي المنفصلة المهجورة ، اصابعها هي هي اصابع الصبية . انها تمسح على عنقي من داخل ، اصابعها الباردة ، الناعمة ، الناعمة ... الناعمة ... (يقترب منه ، ويتابع وهو في حالة شبه هستيرية) الاف الاصابع المقطوعة ، الاف السحنات المصفرة الميتة .. الميتة رعبا ، تطاردني ذاتي الاسطورة ، ذاتي وانا طفل ، وانا فتى ، وانا واقف امام المذبح في خشوع ، تمهل يا ابت .. يخيل الي ان شيئا ما يضرب على جدران جسدي ، من داخلي ، منداخلي.. اني مسجون، مسجون مع الالم والكذب والقتل ، مسجون مع اشخاصي ، مع ضحاياي .. كلكم تطاردونني ... انت النظام يا ابت(الى ريمون) انت ذكرى براءتي .. ذكرى حقيقتي القديمة التي امحت .. اتسمعني ؟ اتسمعني ؟ اني استشف من وراء جدران اجسادكم اصابع الضحايا تطرق محتجة ، صاخبة ، منسية بعد الموت تريد عذابي انا ، تريد الا أمحى .. تريد ن اقاوم (يبلغ الذروة في هياجه المكتوم) انكم شفافون ، مرعبون ، انكم آلات متحركة .. كيف تريد ان افر ومن ورائي هياكلكم الشافة عن القلب المخروطي والرئتين والامعاء .. الانسان المعدة .. الانسان المتنفس .. الانسان الهاضم ... الانسان المجعول للتلف .. اواه ... اواه كم هو محرق ثباتكم ! كيف افر ؟ كيف افر ؟ وانا ممسوك بتلابيبي الى وجودكم الصلب ، الساحق، غير البشري ، الضبابي ، مع ذلك (يغطي وجهه بيديه)

الاب جولي ـ (مترققا) ان محنتك جسيمة يا بني ، ولسوف يغفر لك الله ..

بيير ـ (من خلال اصابعه) الا تفهم ؟ الا تفهم ؟

الاب جولي ـ اني افهم يا بني ، افهم عذابك العظيم ، لقد امتحنت به بنفسي ..

بيير ـ (يرفع راسه) ارأيت الى التعذيب ؟

الاب جولي ـ (يهز رأسه مؤمنا)

بيير ـ ولكن (في نبرات جافة) ولكن عبثا انت تخدم هذا الشيء لصلب : النظام .. هل تؤمن بالغفران يا ابت ؟

الاب جولي ـ اؤمن ... نعم ...

بيير ـ اتعتقد بان الله سوف يهمل جريرتي.؟

الاب جولي ـ اجل ، بسبب عذابك العظيم ...

بيير ـ ولكن (يخبط ذراعيه) ولكن كيف يستطيع هو مواجهتها ؟

الاب جولي ـ من ، يا بني ، من هو ؟

بيير ـ الله ... كيف يستطيع ان يواجه الصبية ؟

الاب جولي ـ (لا يكاد يخفي استنكاره) الله ..!!

بيير ـ الله .. هو .. وبدون خجل (الى ريمون) كيف تريدني ان افر اذن ؟ وهذا الليل الساقط هنا ولا فجر ... ليل بدون فجر .. متى ينحسر ؟ متى ينحسر ؟

ريمون ـ (يهمس له) فلنذهب اذن بعيدا ، بعيدا جدا ..

بيير ـ كيف يمكنني ؟ الا تريد ان تفهم ؟ يجب ان افهر اليأس .. انه جنون ، ولكني مسوق برغمي ، يجب ان افهر اليأس ..لو كنت استطيع ان افتل لافتفيت اثر الكابتن .. ولكن معدني ميتة ... ان اجهزني ميتة .. اني رجل بدون اجهزة .. كل شيء معطل ... معطل .. معطل ، الا هذا الجنون !

ريمون ـ يا الهي ، أنسعى اذن الى التعذيب ؟

بيير ـ انه .. (يشير الى الملازم) هو وسيلتي ...

ريمون ـ وماذا يجدي ؟..

بيير ـ لست اريد جدوى .. يجب ان اعذب حتى ابرأ ..

ريمون ـ أيبرئك العذاب ؟ لماذا لا تنتحر لماذا ؟.. بدل ان تهين اسمك وتلوث شرفك ...

بيير ـ كيف استرد اشيائي المسروقة اذن ؟ من يعطيني بدلها ؟ .... الله (يشير الى الادب) انه يغفر لنا باسم النظام ... النظام كتلة من المشاعر الجافة المصلوبة . وها هم اولاء سدنته ينحرون براءة القلب البشري قربانا له ، انهم يعدون قلوبا ذات صمامات، وفيها دم، ولكن البراة .. لقد سرقوها .. سرقوها منا !

ريمون ـ (متوسلا) بيير ، بيير ، ارجوك .. انك تندفع في تجديفك ليس هذا عدلا (في يأس) توقف ، يا بيير !

بيير ـ هنا.. هنا اربعمائة الف من الجنود .. وفي مقابلهم مائة الف من الثوار : حرب غيرمتكافئة ، ولكنها عادلة حسب شرائعكم ... فلماذا تصرون على اهانتي ؟ لماذا تعذبون رجلا يرفع السلاح في وجوهكم ؟ اقتلوه! اقتلوه ! فهو يستحق الموت ، ولكن ماذا تصنعون برجل اسود القلب، رجل معذب ، متروك لاجترار آلمه ، ولذكرى مذلته ؟

الاب جولي ـ (مترفقا به) اني اغفرلك يا بني هذا السيل من الاهانات التي نصبها على الكنيسة ، وما زلت اقول ان الكنيسة جعلت للخراف الضالة ، ولكنك تجدف دائما ... أتبرر القتل دون التعذيب ؟ ان القتل يحذف حياة بكاملها ، يمحوها ... الا تدرك ذلك ؟

بيير ـ نعم يا ابت، ادري، البئر التي تنزح يجب ان تردم يا ابت يجب ان تردم ! انها تصبح اذا لم تردم مئتنة ، ربما ملأتها الافاعي، ربما اوكرت فيها الحيوانات الضارة ، ان التعذيب ينزح البئر الانسانية ، انه يفرغ الجسد البشري من كل الفضائل ، ان المعذب والقاتل مهجوران ، بئران خربان .

الاب جولي ـ قد يملأهما الله يا بني برحمته ، ان مغفرته عظيمة ..

بيير ـ (يتقدم صوبه) وماذا يفعل بالجلاد ، بالمعذب ؟

الاب جولي ـ قد يغفر له ايضا ، بعد توبته ..

بيير ـ انه لن يغفر له ، كلا .. كلا ..

الاب جولي ـ ان ادراكنا لا يحيط بارادة الله ...

بيير ـ اذا غفر له فان الله يظلمه ، يظلمه حقيقة !

الاب جولي ـ اواه ، ان سعير غضبك جهنمي يا ولدي ، ليرحمك الله ! ليرحمك الله ..

بيير ـ سوف اعلمك شيئا يا ابت ، بعد قليل ، بعد قليل ... ولكنه سيحدث في يوم ... صدقني يا ابت .. سيأكلك شيء ما في داخلك وعندها .. لن تعرف للهدوء طعما ! سيحرقك ظمأ ، ظمأ غير بشري يا ابت .. ان الله يترك الجلاد لنفسه ، ان نفس الجلاد بركة مؤرثة من جهنم .. لا تطفأ ... يا ابت اذا رأيت التعذيب ولم تطرح هذا الرداء الزائف ، فسوف يزحف هذا الشيء الى صدرك ويأكلك ، قريبا (يتردد فجاة) هل تؤمن بالشيطان يا ابت ؟

الاب جولي ـ نعم ، اني أؤمن بوجوده ..

بيير ـ اذن فان الله لن يغفر للجلاد ...

الاب جولي ـ وما علاقة هذا بالغفران ؟

بيير ـ (يهمس للاب) ان الشيطان جزء منا ، انك تعلم يا ابت ، انه مولع بالخراب ، بالقتل ، باتلاف الحياة الصالحة ، ولكن كيف نقهره اذن ، ما دمنا نستسلم لهذا الطمع المشين في الغفران ؟ ان الله لا يعاقب بنفسه ، هل تتصور الله منتصبا فوق البشر ، رافعا سوطه بيده ، مشرفا على تعذيبهم ؟ انها فكرة منحطة يا ابت ، الله هو المغفرة ، الله هو نحن عندما نتحرر ، اني اريد ان استعيد غبطتي ، سوف اجعلهم يعذبونني .. سوف اقهرهم ، جميعا ، جميعا ... القتلة والسفاحين والجلادين ، سوف افهر جزئي المخرب بنفسي ، اني لا اريد ابدا من احد ، لن اكون عالة على الله ، كلا سوف انصره ، سوف انصره بنفسي..

الاب جولي ـ هناك الاخرون دائما ... هناك المسيح المخلص ...

بيير ـ اواه ، يا لها من سخرية ! يا لها من فجاجة ! أتظن ان توزيع الفضيلة والشر متساو بين البشر ؟ لماذا لا ينتصر الله بنفسي أنا ؟ لماذا لا اهزم الشر بمفردي ؟ ولو كان متمثلا في جمهرة من المخربين ؟ سأقاوم وحدي ، اني مسؤول عن الله ، والانسانية ! اني مسؤول في هذه اللحظة عن ارض البشر ، سوف اقهر انانيتي من أجلهم ، ولكني لن افديهم ، ابدا يا ابت ، ان الفداء لم ينفع ، اريد هزيمتهم ، يجب ان يهزم الشر لا ان يفدى ، يجب ان يهزم لا ان يبرر ..

الاب جولي ـ (مرتدا) ما افدح خسارتك من روح الله ...

بيير ـ قل ، ما افدح ربحي ! اني اكاد انوء به ، ومن العيب ان يحمل انسان وحده مثل هذا القدر ، نعم يا ابت ، ان هذا دليل على فقر الاخرين ، اني تعس من اجل المعذبين ، ومن اجل الذين ينعمون بالسلام بعيدا عن المعركة .. اريد طفولتي المسروقة ... وسانتزعها من بين ملاقط اللحم التي يشرعها الجلادون فوق جسدي

الملازم ـ (من حيث هو) الم ينته هذا الهذر بعد ؟ (يلم الاوراق التي كتبها في اضباره) والان ماذا قر رأي الفتى

بيير ـ (موجها اليه الحديث) اني اريد ادواتك ، لقد قر رأيي ...

الملازم ـ آه ، ولكن (الى الاب) الم تجد شيئا يا ابت ؟ ... لماذا تقف محملقا ، مذعورا ، هل ارعبك شيطانه البشري الخبيث ؟

الاب جولي ـ انه يجدف في حق الله ، وفي حق المسيح ايضا ..

الملازم ـ (يقترب) انريد اذن .. (يتمهل) ولكن انبئني .. ما هو السبب ؟

بيير ـ لدي أسبابي ، ولن اعيدها مرة اخرى ..

الملازم ـ اتظن اني لن اقدرها؟

بيير ـ بل ربما فعلت ، ولكن ذلك لا يهمني ..

الملازم ـ حسنا.. دعنانفترض انك مولع بالحديث مع اللجنة.. ولكن لماذا تحذرني ؟

بيير ـ لماذا (مترددا لحظة) لماذا ، ولكن .. حسنا ...

الملازم ـ (ملحا) حسنا .. .

بيير ـ لست ادري ... ربما كان ذلك قد انبثق فجاة في اعماقي ، ربما كنت خائفا ، ربما اردت ان اتورط مقدما ، حسنا .. ربما كان لا يهمني مؤقتا ما اذا كنتم سترتدون عن الخطيئة ، ان ما يحرقني الساعة

هو الرغبة في تحرير نفسي.. في كسب ثقتها ..

الملازم ـ اتعني انك شاك في هذه النفس ؟

بيير ـ لقد كنت منذ لحظات ، اما الان فانا مطمئن ..

الملازم ـ اتقدر جيدا نتائج خيانتك للجيش ؟

بيير ـ دعني من هذا ... اذا كان يبهجك ان تبرد تعذيبي، فافعل .... ولكني مقدر كل شيء .

الملازم ـ (يقترب منه حتى يكاد يلامسه) اتدري اني سوف اختطفك..

بيير ـ نعم ...

الملازم ـ اتريد ان تتعذب حقيقة ؟

بيير ـ نعم .. نعم ... نعم..

الملازم ـ (يستدير في وقفته فجاة ويرفع وجهه الى السماء)رحماك يا الهي ! انك توقعهم في يدي ، رحماك ، فانا وسيلتك الى القصاص (يشير في حركة مسرحية الى الاب) هذه كنيستك شاهدة ولكن عجبي لن ينقضي ايها الرب من هذا الغر المأفون ، انه يقاوم الجيش ، انه يتحداه في مبارزة صعبة ، ولكن سواعد جنودك المفتولة سوف تقضي اربك منه (في نبرة مسرحية مضحكة) يا الهي ! ان اصوات الالم البشرية تتصاعد اليك من انحاء الارض ارجوك يا الهي ... ميز بينها ... بين تلك المنبعثة من صدور المظلومين ، والاخرى الصادرة من الافواه المجدفة المذنبة ، اليك هذا الخاطيء ! ان الكفار يقتلون اخوته في الدين يروعون الآمنين ، يثورون في وجه العدالة ، ومع ذلك فان قلبه يمتليء رحمة بهم ، حتى ليريد ان يفسد علينا خططنا في قتل الحشرات البشرية الثائرة على عدالتك .. ان هذا الفتى سيلقى اشد العذاب ، وهذه هي الكنيسة شاهدة ، فقط من اجل ان يبرأ من الخطيئة (يرتد الى موقفه الاول والان.. الى ريمون) ايها الضابط الفتى ، سقه الى المعسكر « ب » ، واعتبر نفسك مسؤولا عن ايصاله سالما (يلوح بذراعه) لن اعفيك ، كلا .. ان هذه المهمة سوف تبرئك من التستر على رغباته المشينة ... امض به ، وستجعلك هذه المهمة جديرا بان تخدم في احتياطي فرقة المظلات الباسلة ، انتبه ! ان هذه الفرقة تحمل على كتفيها العبء الاسمى .. انها تعتبر نفسها مسؤولة عن مصير فرنسا (من بين اسنانه) سحقا لهم .. الاوغاد المقيمين في المهجورة ! ولسوف يعتبرها التاريخ كذلك ، امض الان ..

(ينفذ ريمون الامر فيستاق صديقه من ذراعه ، ويمضيان الى الخارج، الملازم يهرع الى الهاتف ، ويتحدث في همس شديد لحظات ، ثم يعود وهو يفرك كفيه الى حيث يقف الاب جولي)

الملازم ـ كان نصيبك الفشل يا ابت مرة اخرى (يغمز بعينه) مرة اخرى ...

الاب جولي ـ (مغضبا بعض الشيء) لماذا تغرر بي ، اني لن ابوح بشيء (يتأجج غضبه) اتدري اني اكثر اخلاصا منك ؟..

الملازم ـ (ساخرا) لمن يا ابت ؟ للخراف الضالة ام ..

الاب جولي ـ انك اشد ضلالا من هذا الغر ..

الملازم ـ أوه .. لقد استثارك اذن ..

الاب جولي ـ انهم يسقطون بسبب ايمانهم ... ونحن ننتصر بفضل هذا الايمان ايضا ، وما الفرق اذن ؟

الملازم ـ تخل عن الايمان يا ابت فهو غير جدير بك ... ان قلبك المتين المخلص ، يثقل على ضميرك ، عبثا تحاول ان تنفذ عبر عذاب الاخرين ابدا يا رفيقي المتعب ، لماذا الايمان ؟..

الاب جولي ـ كف عن هذا ، يخيل الى ان الشيطان نفسه ليس اكثر منك حماسة للتخريب ..

الملازم ـ ولكنك مولع بي ؟ تطلع في عيني ، هل تستطيع الانكار ..؟

الاب جولي ـ (يشيح بوجهه) انك تجسد الخطيئة ، انك مفتون بها

الملازم ـ وما النفع في تمردك علي يا ابت ؟ ان الخطيئة هي الحقيقة الوحيدة ، مزق هذا الرداء يا ابت ، انزعه .. ان صدري مفتوح لك ، اني احييك من اعماق صدري ، وفي حرارة القديسين ، تعال سريعا ... سريعا جدا ، قبل ان يطوح بك العبث ..

الاب جولي ـ نعم ، سوف اشي بك .. انت الجلاد ، انت العابث الماجن في ارض القبور هذه ..

الملازم ـ (يضحك) هيا ، افعل اذن ، وتعال الي (يقترب منه) اتدري يا ابت شيئا ؟ تراودني هذه الخاطرة احيانا وانا اتطلع في عينيك المتوهجتين ، هل اقول يا ابت ، ايجوز لي ان اقول ...

الاب جولي ـ قل ، هيا ، لا تخش شيئا ، ولماذا تخشى ؟

الملازم ـ نعم ،لماذا اخشى ؟ يخيل الي احيانا انك توشك على ان تفضي الي برغبة ، رغبة تحرقك ، كما يحرق الظمأ اعماق قلب الانسان رغبة طاغية ، مستبدة تتوهج في صميم عينيك وتكاد ان تطمس ضلال زيفك الخارجي ، رغبة ..

الاب جولي ـ (محتدا) قل ، مباشرة ، مباشرة

الملازم ـ اتريد ان اهمس بها في صميم عينيك ونكاد ان تطمس ضلال زيفك الخارجي ، رغبة ..

الاب جولي ـ (محتدا) قل ، مباشرة ، مباشرة

الملازم ـ اتريد ان اهمس في اذنك ، فقد يسمعها الله ؟

« مجموعات » الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الست الاولى من الآداب تباع كما يلي

		مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٩٥ل.ل	١٠٠ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الخامسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السادسة	٢٥ «	٣٠ «

الاب جولي ـ بل اعلنها ، عليك اللعنة ، سيسمعها الله على اية حال حتى وهي خاطرة في صدرك ..

الملازم ـ حسنا ، لا بأس في ذلك ، اني اعلنها : تكاد الرغبة تطفر من عينيك في ان تشهد عمليات التعذيب بنفسك.. ربما اكثر من ذلك يا ابت ، ربما كانت رغبتك تتجاوز عملية الاطلاع ، الى الممارسة الفعلية مثلا ..

الاب جولي ـ (ينتفض) سحقا لك ! سحقا لك !

الملازم ـ تريث يا ابت ، ان الحديث يروق لي دائما وانا بصحبتك، ان شيئا ما يشدني اليك ، يأسرني ، بل ويسوقني سوقا الى مشاركتك امالي ونزواتي ، ان هذا الشيء يشبه الشعور بالمهانة ، او الشعور بالعار بصورة ادق ، انك يا ابت من نفس طرازي ، الطراز الملعون ... الطراز الملاحق من قبل الاخرين بالنقائص ، اتفهم ما اعني ؟

الاب جولي ـ لا افهم ، لا افهم ..

الملازم ـ بل تفهم يا ابت .. بدون اسرة ، بدون اب ، بدون مآثر، هذا نحن ، الخراف الضالة التي يبهجك دائما التحدث عنها، نحن نحن الخراف الضالة يا ابت ، ايجدر بي ان اذكرك دائما بصنعتي ؟ اليست مهمتي ان اكشف خبايا الاشياء ؟ ان لدي هنا في صدري ملفا كاملا عنك يا ابت ، اوه ماذا تظن ، هل بلغ بك السخف حدا يجعلك تطمئن الى اني سوف اسمح لك بالتنقل بين فتياني ، ونشر الخراب في نفوسهم ؟ انك مسؤول هنا في هذا المعسكر عن شيء واحد ، عن ذات الشيء الذي اعتبر نفسي مسؤولا عنه .. وهو ان نقدم للفتيان دائما التبريرات ، باسم الوطن ، باسم الحرية ، باسم المجد ، واخيرا ، اخيرا يا ابت .. باسم الله ..

الاب جولي ـ انك كاذب ، انك تكذب على جنود الله انفسهم !..

الملازم ـ (يفرك يديه اغتباطا) جنود الله ، من نحن اذن ؟ السنا جنود الله ؟ انه مسؤول عن وضعنا في هذا المأزق ، يجب ان نتلف الاشياء الصالحة في الاخرين ما دمنا لا نملك لانفسنا شيئا ، وهذا ما يزيد من مهمة الله في الغفران ، ويجعله في صعود مستمر ، وفي تسام عن البشر ، من تظن ذلك الكولونيل الذي يوقع اسمه الرعب ؟ من تظنه ؟ ابن زنى ، لا اكثر ولا اقل ...

الاب جولي ـ ماذا ؟

الملازم ـ ها ان ذلك يبهجك كما يتراءى لي ، اتريد مزيدا ؟ ان لدي كشفا كاملا بضباط وجنود هذه الفرقة المتفوقة ، هذه الفرقة التي تحمي فرنسا من الانهيار ، هذه الفرقة التي تتمركز على حافة الجرف ، وتدفع بفرنسا المساقة اليه بعيدا عن الهاوية، هذه الفرقة التي تأنف من الحرب الشريفة ، ومن الفضائل ، والتي لا تؤمن الا بالسيطرة والتفوق والطغيان، انها موجودة لتكسب لنا النصر ، وسوف يكلل هاماتفتيانها الفار بعد احرازه ، سوف نحكم فرنسا ، ونحتفظ بها متبوئة مركز الصدارة بين شعوب القارة ، سنضطر فرنسا الساقطة المبتذلة ، ان تقف على قدميها من جديد ، وان تقلع عن التبجح بالمثل بدل ان تغرزها غرزا في قلوب البشر ! (تخف نبرته وتصبح اميل الى اللطف) ولكن تذكر يا ابت ، ان وراء كل فتى من فتياننا قصة ، انهم لا يدركون مهمتهم التاريخية ، انهم يندفعون بمثل هذا الجموح لارواء هذا الحنين القتال الذي يمتلكهم، لتثبيت اقدامهم في وجه الاخرين ، اتفهم ما اعني؟

الاب جولي ـ (مأسورا) اني أفهم ، اني افهم ...

الملازم ـ ان الاخرين قضيتنا ، يجب ان نتلذذ بلويهم ، وكسر هذا الاعداد الذي يملأهم ، يجب ان نرى بأعيننا ان انحدار الرجل من اسرة شريفة لا يعني شيئا ، وانه يخضع للعذاب كالحيوان ويصرخ ، ويسعطر رحمتنا ، وينبذل ، يستحيل بين ايدينا القوية الاسرة ... مجرد جسد رخيص كآلاف الاجساد ، ، مشوه بفعل العذاب ، مكسور الغد ، ان كثيرا منهم يسقطون عند اقدامنا ويشرعون في لمسها دليل خضوعهم ومذلتهم ، انهم يتحولون بمعنى حاسم الى كائنات مسلوخة عن شرفها واعدادها ، بدون رداء ، ولا اسم ، ولا ماض ، ولا تفاخر ، مجرد مواصيع للتسلية (يرفع ذراعه يائسا) سحقا لك ، ان بريق عينيك يجعلني انا نفسي ارتعد رعبا ...

الاب جولي ـ يجب ان تتناساني ايها الملازم ، اترى هذه النشوة حقيقية ؟ اصدقني ايها الملازم ، ارجوك ..

الملازم ـ سحقا لك ، انا مظلومون، لقد اضطرنا الصالحون لاجتراح مثل هذا الاثم ، اترى .. اني اسميه اثما ؟ فليكن ، فليكن ، هل في وسع السوي المجعول للصلاح ان يصير شاذا ؟ كذلك نحن : لن يقدر لنا ان نصبح اسوياء..

الاب جولي ـ ولماذا يغلبك القنوط ؟ لماذا ؟ ربما كنت مضطرا الى الاثم ، بل اني اجزم بذلك ..

الملازم ـ سحقا لك مرة اخرى ! فانت جاهل ..

الاب جولي ـ اني اعترف بجهلي ..

الملازم ـ كذب .. انتم تعترفون بالجهل ، امعانا في التذلل امام الله..

ولكنكم اشد كبرياء منا ... الا تضعون انفسكم في مركز الديان ؟ لقد كنت تسميه قنوطا ، لو كنت على شيء من الذكاء لادركت ان القنوط يعني القبول ، ولكني ارفض ، اقول لا في وجه الله ، والناس ، والصالحين جميعا ، ان تمردنا هو الحقيقة الوحيدة ..

الاب جولي ـ اصحيح هذا ؟ ولماذا اراك معنيا بالخلاص ، نعم .. انت ذاتك ؟

الملازم ـ الخلاص ... (متبرما) لست اؤمن به ، ما لم افرغ هذا السم الذي يتآكلني ، فلن اؤمن بشيء ، اما ان يقتلني السم ، واما ان انفذه في صميم الاخرين ..

الاب جولي ـ تنفذه بعد ؟

الملازم ـ (صارخا) كلا ، ليس بعد ، الم يأتك نبأ ابن حمود ؟ والصبية؟ لقد ملأني سما من جديد !

الاب جولي ـ لماذا ؟ لماذا ؟

الملازم ـ انك لغبي ، لقد وقف في وجهي ، لقد سحقني وهو يتعذب، لقد جعلني اتذلل له انا .. انا الجلاد ، كنت انحني فوقه وارجوه ان يتنازل ، انه عدوي القريب ، الملتصق بقلبي ! اتدري ايها المحترم اني ذرفت من اجله دموعا حقيقية ؟ اكانت دموعي من اجله ؟ كلا ، كلا ، انما هي رثاء لنفسي، دفعة واحدة .. (نبرة يائسة منتحبة) دفعة واحدة ردني الى وضاعتي ، بدون اسم ولا مفخرة ، ولا أمل ..

الاب جولي ـ سوف تلقى رجالا غيره ... وسيأكلك السم مرة بعد مرة ، لماذا قتلته ؟

الملازم ـ (قافزا) انا ؟ انا قتلته ؟ كيف يمكن ان يحدث مثل هذا ؟ (فجأة) الا تريد ان تفهم اخيرا ؟ لقد كنت في سباق معه ، كنت في محاولة مخلصة امينة للتبرؤ ، كنت اتوسل اليه من اعماق صدري ان يتنازل ، كنت سأرتمي عند قدميه ، منحنيا ، خاضعا ، لو فعل هذا، اواه ، ابن حمود ، انت جلادي يا ابن حمود ، انت معذبي يا ابن

حمود ...

الاب جولي ـ (بسرعة) ليغفر لك الله ، ما اشد قنوطك !

الملازم ـ (يرتد اليه) الله .. كلا ، اريد مغفرة الرجل ، اريد أن يتناساني ، ان يرتاح على كتفي مشجعا ، ان ينظر الى ألمي ..

الاب جولي ـ من هو ايها المجنون ؟

الملازم ـ من هو ؟ .. (يقفز في موضعه) اتسألني من هو ؟

الاب جولي ـ من هو ؟

الملازم ـ لقد غفر لاحدنا ..

الاب جولي ـ (ملحا في شبه يأس) من هو ؟

الملازم ـ الكابتن ، لقد انقذ ، انقذ ايها الكاهن ..

الاب جولي ـ الكابتن ، ولكنه قتل !

الملازم ـ تبا لك ، اتعني حقيقة انه قتل فقط ؟ لقد خضع للعينين النارينين ، المطلتين من وجه المعذب ، من وجه البطل ، فأرسل في جسده الموت ، لقد شفي ، لقد شفي دفعة واحدة ! وهكذا فان حياته العادية لم يعد لها من مبرر ، ان ابن حمود اعطاه السلام ، اما موته فليس بذي شأن ، لقد مات كما يموت الاخرون جميعا ، على نفس طريقتهم ، مات لانه لم يكن يحسن فعل شيء آخر ، هكذا ، هكذا ، أتدري من أنقذ أيضا ؟ هل تدري ايها الكاهن ؟

الاب جولي ـ كلا ..

الملازم ـ ذلك الفتى المأفون ، لقد خلص منذ الساعة

الاب جولي ـ ذلك الفتى ، المتمرد ، المجدف ؟

الملازم ـ (دون ان ينتبه اليه) سأساعده يا أبت ، سأمد له يد العون يجب ان يخلص ..

الاب جولي ـ تساعده، اتعني انك سوف تعفو عن زلته ؟

الملازم ـ اية زلة ، أنا ، انا من يرتكب الزلات ، من أجله سوف ارسل سمي ، انه لن يتنازل بدوره ، سوف يصمد ، ويصمد ، ويصمد ... (تصبح لهجته وحركاته غريبة ، كأنما هي نوع من مناجاة النفس) اننا من نوع واحد من طراز خاص مختلف عن الاخرين ، اعني نحن ، نحن انفسنا .. سوف اسر لك شيئا : نحن ، المعذبين والمعذبين ، نحن الجلادين والضحايا ، اننا من نوع واحد ، اننا نمتلك قدرات خاصة اننا متفوقون ، اننا لا نشبه الاخرين ... (يتردد لحظة ويحدق في وجه الاب بعينين جاحظتين) اتدري ماذا رأى الفتى ؟ نعم ، وقتها ، وقتها تماما ، لقد رأى الصبية وهي في افدح اشكال العذاب، مقبلة على ان تنتهك عنوة .. ان يمتلكها حيوان مأجور تحت ابصار الرجال .. اكان هناك ما هو أشد رعبا ؟ وحطة ؟ ووحشية ؟ الصبية السليمة ، المقززة العينين ، المدهوشة ، دهشة مميتة مما يمكن ان يصير اليه حال البشر، لقد رأت مرة واحدة ، على حين غرة ، كل الامنا ، كل مأساتنا ، كل مذلتنا : لقد رأت البشرية، ممرغة تحت ابصارها في الوحل ، البشرية التي اعدها الله للخراب ، والسقوط ، لقد رأت مرة واحدة ، ان الحياة لا تستحق ان تعاش ، الحياة السخيفة العابثة ، الشريرة ، الحياة التي تجري في عروق هذا الوحش المقبل على افتراسها ، وفي عروق الشهود الذين يمارسون مراقبتهم بقلوب مطمئنة ، الحياة التي اكانت تظنها حقيقية ، وامينة ، ماتت يا ابت في قلبها دفعة واحدة الازاهير والفراشات ، والنور ، والفضائل ، انطفأ قلبها يا ابت وغمرته ظلمة الكون الازلية ... المختبئة دائما وراء رقص النور الكاذب ... (يقف ويتفحص بعينين نديتين متوهجتين جوانب المكان) لقد عرف ذلك الصبي المأفون الحقيقة ، مثلما عرفتها ، لقد اكتشف السر ، آه.. آه.. من هذا السر الذي يصلبني أنا وحدي على خشبته .. تزحف العتمة الى صدري ولدتها لا تختفي ، اني احب العتمة ، اني اريد ظلام الكون انا اتجرد ، ولكن صبرا يا ابت ، سوف يأتي دوري ، سوف يملأ عيني المستقر المدجج ، ويطفى على بصري ، ثم ينطفيء كل شيء بعد ذلك المشهد وعندها ، وعندها فقط سأبرأ (يتردد مرة اخرى) انك لم تفهم يا ابت بعد ، نحن الذين قدر لنا ان نفهم ، نحن الممتحنين ، نحن الذين نخوض في بحيرات الخطيئة ، ان هذا الفتى أخي ، انه اخي الذي يشغف حبه قلبي ، سأساعده على البرء ، ولكن .. ولكن ، الم تفهم بعد ؟

الاب جولي ـ (محيرا متألما) لم افهم، كيف افهم ، كيف ؟..

الملازم ـ (يهدأ) ان ذلك الفتى ، ان ذلك الفتى ...

الاب جولي ـ استمر ارجوك ايها الملازم ..

الملازم ـ (يتطلع اليه في احتقار) لقد رأى الفتى ... محل جسد الصبية ، المسيح مصلوبا ...

(فترة صمت ثقيلة)

الملازم ـ انصرف الان يا ابت ، اذهب الى اي مكان ، ولكن غادر هذه البقعة ، الى الابد ، فقد عرفت اكثر مما يجب ..

الاب جولي ـ (محيرا) اتريد ان لا تراني ؟

الملازم ـ نعم .. والا فاني سوف اسحقك كما تسحق الحشرة ، امض من وجهي الى الابد ، مارس فضائلك في مكان آخر ، ولكن لتغادر هذه الارض ، انها مجعولة للمحرومين بالظمأ ، للغرباء ، للمنفيين، للمهجورين!. قف قليلا يا ابت ، سأقول لك شيئا اخر : ان النصر على هذه الارض لن يكتب لفرنسا وحدها ، وكذلك لن يكتب للثوار وحدهم ، فهو ملك للبشرية جمعاء، كلا ، لن تقرر نتيجة الحرب اساطيلنا ، ومدافعنا وطائراتنا ، أقول لك كلا ، اما ان انتصر أنا الجلاد ، .. واما ان ينتصر هو .. انك تذكره ، هو ابن حمود ، اما ان ابقيه مأسورا الى بحيرة الخطيئة ، واما ان ينتشلني منها .. ماذا بعد ؟ لست ادري ، لا اريد حتى ان اعلم ،سحقا لكم! امض من وجهي ، سريعا يا ابته سريعا يجب ان تتلهى بشيء اخر ، في مكان آخر ، فلن يطفيء حرقة ظمأ الصحراوي المتأرث عصير ليمونة ، قدمها لمن أثملته مسراتكم الوضيعة ، هناك فوق ارض الكذب ، هيا ، غادر ارض الجزائر ، والا فسوف ينزل اسمك خطأ في قائمتنا اليومية ، شيء آخر ، انك لا تستحق يا ابت ان يقترف رجل هنا مثل هذا الخطأ المشين ، (يصرخ متوعدا ، ثائرا) اذهب ، اذهب ، اذهب (يتردد الاب جولي لحظات ، ويهم بالاعتراض ، ولكنه يعزم على الانسحاب امام مرأى الملازم الهتاج ، المتوعد . ينطلق الى الخارج وهو يلوح بذراعه يأسا او غضبا او حيرة ، يصطدم عند الباب بالكولونيل داخلا على عجل)

الكولونيل ـ (ينحني له انحناءة خفيفة عند العتبة) الى اين ايها المحترم (يدخل دون ان ينتظر جوابا ـ الى الملازم)جاك هل تأكدت منه؟ (يشير الى الاب) انهم ثرثارون عادة ، فقد اتعبنا ـ من قبله ـ اولئك المحترمون ، المحترمون ، مشعوذو الله (الى الاب) تمهل قليلا ! (يلتفت صوبه) انت ...

الاب جولي ـ لست خائفا ايها الكولونيل ... ان عملي هو المواساة ، والله وحده الذي يدين ، اني ماض على اية حال ...

الكولونيل ـ ادري ادري.. ولكن ربما ساقك اللسان (يتضاحك) ربما تظن انه من واجبك ان تواسي اللجنة ايضا ، اتظن ان مثل هذه الافكار تجول في رأسك ؟ حسنا .. في وسعك ان تمضي يا ابت ، في وقت اخر

ربما لجأت اليك طمعا في العمة (يلوح له بذراعه) في وقت اخر (يتردد الاب ثم ينصرف على عجل)

الكولونيل ـ (يجتاز الغرفة مسرعا ، ثم يعود ، ويكرر ذلك مرات) جاك ... جاك .. يجب ان يحدث شيء ما !..

الملازم ـ (خافض الرأس) يجب ان يحدث ، يا سيدي الكولونيل ...

الكولونيل ـ (يتوقف ، ويتطلع صوب الملازم بحدة) اهي اللجنة ؟

الملازم ـ اوه يا سيدي الكولونيل !

الكولونيل ـ (يلوح بذراعه) لا بأس أهو شيء آخر ؟

الملازم ـ (يتناول التقرير من على المنضدة ويدفع به الى الكولونيل)

الكولونيل ـ (يأخذ التقرير ويتصفح اوراقه بدون اهتمام) ـ أتظن ان هذه الصور الفاجعة التي رسمتها لهم قد اورثتك الحزن ؟ (يطرح الاوراق على المنضدة) اتظن ؟

الملازم ـ (في شيء من الضجر) اني لا اظن شيئا ..

الكولونيل ـ (يقترب منه ويربت على كتفه) لا بأس عليك (متمهلا) جاك ... اخشى يا صديقي ...

الملازم ـ (في بعض الحدة) ماذا تخشى يا سيدي الكولونيل .. ارجوك ان تقول ، سحقا للجنة ، انها الخامسة او السادسة ، او العاشرة ، سحقا لوجوههم الباردة ، لعيونهم المتطلعة المشغوفة بالاسرار ، سحقا للجمهورية التي تسلم هذه النفايات من الرجال مقاعد الحكم (يحدق في وجه فحسب ، هنا ، هنا (يخبط على صدره) الغيظ الذي ينسكب على جوانب الكولونيل) اني لا اخشاهم ، انهم لا يستحقون ان اشغل بهم ثواني قلبي .. هنا نبع الخوف الفوار ... منحدر السيل .. نقطة تجمع العاصفة ، هنا يا سيدي الكولونيل ، وليذهبوا بأوراقهم ، وتحقيقاتهم ، وخدعهم الى الشيطان ...

الكولونيل ـ (في نبرة ساخرة ناعمة) يحزنك شيء ما .. لقد اكتشفت ذلك ، ولكن، اوه ، دعني اخفف عنك ، اتريد ان اوسع من مملكتك النادرة ومن جيشك ، ومن اسرارك ؟ اتريد ان أنشيء لك مخازن ، واقبية،(ينفجر في الضحك فجأة) ان من يبصر الى وجهك وهو يقطر الما يحسب ان فجيعة حقيقية قد نزلت بك . لاحظ، « فجيعة حقيقية » ، ولكنك أعتى ضياطي واكثرهم بسالة ، انك اشد ضراوة من الشيطان نفسه ، اخال لحظات ان الروع سيطبق علي أنا نفسي بسببك ، اعذرني ايها الصديق ...

الملازم ـ (يقاطعه) شكرا على هذا الثناء الثمين يا سيدي الكولونيل.. اما عن الاقبية ...

الكولونيل ـ سوف ازيد من اعدادها ، اقبية من كل نوع .. (يغمز بعينيه) ولن تسمح بها الجمهورية ، مسالخ حقيقية ايها الصديق ، معدات من كل نوع ، سوف نضع تصميماتها معا ، اوه ، كلا ، فانت قادر بمفردك على ان تجعل من المعجزة حقيقة ملموسة ، اتظن اني واهم ؟ كلا ! فما اقل ضحاياك في قوائمنا ، ولكن (يغمز له مرة اخرى ويستمر جادا وساخرا معا ، متحمسا وفاترا في آن واحد) سوف يقدر لك ان تخلف وراءك على هذه الارض التعسة الصلبة مع ذلك صلابة الفولاذ ، مملكة حقيقية من انصاف المخلوقات ، من انصاف الرجال ، وانصاف النساء، وانصاف الاطفال ، انصاف من كل شيء ، ولسوف يشتهر اسمك ، ويطلق على مدرسة جديدة في علم النفس، تيمنا بما انشات لهذا العلم النفيس من موضوعات للاختبار ! الن يحدث ذلك ؟ يقينا ! يقينا سوف يحدث ... كل شيء يتحول بين يديك كأنك اله حقيقي الى شكل اخر، الا يبهجك ان تشارك الله في عمله ؟.. ولكنك اله مختلف ايضا ، اله رائع ، اله واقعي ، وما ابدع مهمتك في الحقيقة ! ان تقشر الطلاء الكاذب الذي يطلي به الله المعروف جلود البشر ، انك تعريهم ، وتلونهم كما تشاء، لتقل كما يشاؤون بأنفسهم ، وماذا بعد ان تفضح ما في سلامتهم الظاهرية من زيف ؟ ماذا يهم في اشكالهم الجديدة بعد ان اسقطت عنهم العبث ؟.. اوه .. ما ابدع مهمتك !.. ما ابدع مهمتك ..

الملازم ـ (في صوت جاف) .. واذا تجاوزت عما في حديثك من سخرية ... اذا تجاوزت يا سيدي الكولونيل ، فماذا بعد ؟

الكولونيل ـ ماذا بعد ، كيف ؟

الملازم ـ ماذا بعد ؟ اني اله حقيقي ، لقد جعلتموني الها ، ان لي مخلوقاتي الخاصة النادرة ، فماذا بعد ..؟

الكولونيل ـ الا تدرك ما في ذلك من جمال ، وحقيقة ؟

الملازم ـ اني اوافق على ما فيه من حقيقة ، ولكن الجمال ..

الكولونيل ـ (مستمرا في سخرية الجادة) حقيقي وغير جميل ؟! كلا ايها الصديق ! كلا ..

الملازم ـ لنتجاوز عن هذا ايضا ، ان لي مغاوري ، وكهوفي ، وآلاتي، ان لي مملكة عجيبة تضج بمخلوقات عجيبة ، ماذا بعد ؟ اليس هذا عبثا اشد نكرا من العبث القديم ؟ ماذا بعد ؟ بعد يا سيدي الكولونيل : اعلم اني مسؤول عن التلف ، فماذا عن مسؤوليتك ، اتسمح لي يا سيدي بسؤال : وعلى وجه الدقة اتغفر لي ؟

الكولونيل ـ يقينا ، يقينا ...

الملازم ـ هذه المخلوقات التي ننشئها أنا وانت ، والتي تسميها انت

دار المعارف بلبنان

تقدم للقارئ العربي تاريخ الشعر العراقي المعاصر
تطوره واتجاهاته الفنية واعلام البارزين في كتاب

الشعر والشعراء في العراق

العراق في مؤرخاته وانتفاضاته ـ نهوض الشعر الحر

دراسة ومختارات
بقلم
أحمد أبو سعد

ثمن النسخة
٦٠٠ ق.ل أو ما يعادلها

عملية تصحيح،هذه المخلوقات الملوية، المبتورة،هذه المخلوقات المكشوفة تماما.

الكولونيل ـ (مؤمنا في حماسة) المكشوفة ، انه تعبير دقيق للغاية.. تعبير مثالي ..

الملازم ـ إننا نسيرها معا ، نفضح خصالها .. نكشف عن قناعها المغطى بالحصى والنباتات الطفيلية ، ونحن من ثم نمهرها بهذه العبارة في مكان بارز على الوجه ، او الذراع ، أو الرجل ، أو الصدر ، أو الظهر ، على اي شيء مبهوج عمدا ليظهر عبث الاله الصبياني : « هذا الكائن مصحح في مختبر فرقة المظلات » حتى تصير لنا مملكة على هذه الارض ، والان يا سيدي الكولونيل وفوق كل شيء ، ماذا بعد ؟

الكولونيل ـ تبا لها ! ماذا بعد ، وما ادراني ؟ ماذا يهم من هذه الـ ماذا بعد ؟ لاشيء ، صفر ، مجرد الان ، الان كل شيء .. الان هو الهام ، اتعتقد انه يهمني في شيء كثير « بعد » ؟

الملازم ـ هل هذا هو كل شيء ؟

الكولونيل ـ الكل ، الكل تماما !..

الملازم ـ النصر مثلا يا سيدي الكولونيل ؟

الكولونيل ـ (كانما فوجيء) النصر لماذا لا ؟ اليس معنى الثبات النصر؟

الملازم ـ مجد فرنسا ، امبراطوريتها ، رسالتها التمدينية ..

الكولونيل ـ (يضحك في عصبية) هل هذا ما تعنيه « بالبعد » ؟ (يرفع اصبعه في وجه الملازم) لقد قلت منذ دقيقة انك اله حقيقي اتريد ان تصدق ذلك ؟ لا ، لست اعلم شيئا ، الثبات وكفى ! يجب ان يسقط كل شيء ما عدا فرقتي ، كل شيء ، اتسمع ؟ ولو سقطت فرنسا ذاتها ، ان الائتلاف والقتل والتخريب جميعها سواء ! اني اعني بمشاعر جنودي ، عليهم ان ينفذوا عبر المهمات ، عليهم ان يشقوا طريقهم من فوق الاجساد المنهارة او عبرها اذا لزم الامر ، اتريد ان اساعدك على الفهم ؟... لو كان المعبر الوحيد الى المهمة ان نمرق جميعا من وسط الجسد البشري ، فما علينا الا ان نمر ، ماذا يعني وسط الجسد البشري؟ اني اعني منتصفه حقيقة .. ان نشق الجسد الى نصفين ، وان نمرق من فاصل الدم بينهما .. اتريد ايها الملازم مزيدا من المعتقلات ؟ اني اهبها لك ؟ مزيدا من الالات ، مزيدا من الرجال الاشداء ، خذها جميعا ! ولا تسالني شيئا ، مكتي من ان اعبر ليس غير ، علي ان اعبر (يحقد فجاة) علي ان اعبر.. ان هذه الارض الملعونة تثير غيظي ... ليس لانها تقاومني كلا ، دعني اصارحك بشيء ، دعني اصارحك بشيء حقيقي ، لانها تنفذ بنفسها عبري ، وعبر جنودي ، لقد بدأوا في السقوط ايها الملازم ، انها مشاعر جنودي، اريد مزيدا من القتل ، مزيدا من العنف ، مزيدا من القسوة ، علي ان اقف الان ، واتماسك ، وفيما بعد يجب ان اعبر ، انها مشاعر جنودي التي تهمني ، اما بعد ، والله ، والابالسة ، والمخلوقات المكشوفة فلتذهب جميعا الى الجحيم !

الملازم ـ (مرتدا الى الوراء) اني افهم يا سيدي الكولونيل (يبدو وجهه الان متعبا ، مريضا ، شاحبا) اني افهم تماما ، مجرد عملية حسابية، (في صوت خافت) ان مشاعر الالهة مختلفة ، مغايرة لما نحن عليه ، الالهة (يرفع صوته) سوف تعبر يا سيدي الكولونيل ، انك تقود فرقة نموذجية مقدودة من الفولاذ ، بل هي اشد تماسكا ، ماذا يهم غير هذا ؟ سوف اجعل تسليات جنودك طريفة ، متجددة دائما ، سوف اجرعهم خمرة الهية ، انت تعطيني عروق الكرمة ، وانا اعصرها يا سيدي الكولونيل ! بلى ، بلى .. سوف تعبر فرقتك الفولاذية من منتصف الاجساد ، بعد ان تشقها فؤوسنا ، يا سيدي الكولونيل ! سوف اقدم التقرير الى لجنة التحقيق التي بعثت بها الجمهورية ، وسوف يجدون ان مهمتهم بعد ذلك هي في ان يحققوا فيما يتعرض له جنود الجمهورية من الوان التعذيب والتنكيل ، اني خادمكم المخلص يا سيدي الكولونيل ! اسمع اني متعب قليلا بعد نهار شاق . ويجب ان استريح...

الكولونيل (يأخذه فجاة ويعانقه في حركة مسرحية) شكرا ، يا صديقي شكرا ، ان فرقة المظلات تعبر بلسان رئيسها ـ وها انذا بنفسي الان ـ عن تقديرها لخدماتكم (يلتفت فجاة) لقد انجزت كل شيء ، اليس كذلك ؟ اعني ، مسالة التغطية ..

الملازم ـ (يهز راسه) لن يعثروا على شيء الا بعض الساجين الجدد ولما تنطبع علاماتنا عليهم بعد ، اطمئن يا سيدي الكولونيل !

الكولونيل ـ لقد كان نهارا متعبا .. الان ، ولا عمل لي ، سانصرف توا ، شكرا ثانية (يحاول ان يعانقه ، فيبتعد الملازم متجاهلا حركته ، يبسط الكولونيل يديه الى مداهما ويشد على يدي الملازم) طبت مساء (يأخذ الملازم له التحية دونما اهتمام)

الكولونيل ـ (عند العتبة) سأذكر هذه العبارة الدقيقة ، المؤثرة .... بل ربما جعلتها نقشا محفورا حقيقيا ، (يضحك) ما ابدعها ! « هذا الكائن مصحح في مختبر فرقة المظلات » ما ابدعها ! (ينفجر في الضحك فجاة) سوف اجعلها نقشا حقيقيا ، ما ابدعها ! (وهو ينصرف ومن خلال قهقهته) طبت مساء ايها الملازم .. ما ابدعها حقيقة !..

(العتمة الان تكتنف زوايا المسرح ، وتغرب نهائيا خيوط النهار ، حيث تغيم النافذة المشبكة في الظل ، يسقط الضوء الكهربائي العاكس ،المنبعث من فوق الطاولة على صدر المسرح فحسب ، يدور الملازم حول المنضدة مرتين ، ثم يسقط متهالكا على الكرسي خلفها ويأخذ راسه بين كفيه).

الملازم ـ (في صوت واضح ، ولكنه متعب) انا .. انا في مملكتي ، ايها الكولونيل الصغير ! (يردد كلماته ، مقلدا لهجته)علي ان اعبر ، علي ان اعبر فقط ، ايها الكولونيل ، ياابن الساقطة (فترة ، يهز راسه وذراعيه المتكئتين على المنضدة مرات ، كانما ينوس بفعل قوة آلية) في مملكتي ، ولا اخت ، ولا زوجة ، ولا حبيبة .

(يدلف فرنسيس في صمت وهدوء ، في ثياب مدنية ، عندما يقترب من دائرة النور ، يجفل فجاة ، كانما هو سائر في حلم ، يجذب اليه انتباه الملازم الذي يشرع في مراقبته في قلق).

الملازم ـ فرنسيس ...

فرنسيس ـ (يتوقف في الظل الخفيف) اطفىء النور ، اطفىء النور.

الملازم ـ فرنسيس ، ماذا جاء بك الى هنا ؟..

فرنسيس ـ (يدور منحرفا صوب الملازم) اطفىء النور ، سوف تدور الاتي .. حالا .. حالا ..

الملازم ـ (مترفقا به) فرنسيس ، اتراك تحلم ؟.. .

فرنسيس ـ (في همس ، كانما يسر له شيئا) اياك ان تنبىء احدا ، لقد جئت هنا خلسة .. .

الملازم ـ خلسة ؟ . ولماذا ؟..

فرنسيس ـ لماذا ... ان الالات هنا !. .

الملازم ـ كلا .. لم تعد هنا !.

فرنسيس ـ (دون ان ينتبه) .. لقد قرع جرس الانذار هنا في صدري ، يجب ان تدور الالات ، انهم ينتظرونني (شاكيا) دعني امضي .. فهم ينتظرون ..

الملازم ـ من هم ؟..

فرنسيس ـ انظر الان ، انظر الان ، (يبسط ذراعيه العاريتين المرتجفتين في النور) ـ الا ترى ؟

الملازم ـ ماذا فيهمـــا ؟..

فرنسيس ـ اواه . دعني اعمل ، دعني اعمل ، ارجوك ياسيدي !

الملازم ـ (مدركا حالته) في وقت اخر ، انصرف الان ..

فرنسيس ـ كيف انصرف ؟

الملازم ـ انصرف ، فانت مركب تماما على رجلين حقيقيتين !.

فرنسيس ـ اواه ، اواه ، نعم فهما رجلاي حقا (يقترب من النـــور ويجسهما بيديه) ولكن ـ الالات .. .

الملازم ـ (في صوت آمر) فرنسيس ، امض الان ، واستلق حيـث كنت ، فلست على مايرام .. .

فرنسيس ـ لقد كنت ياسيدي ، لقد كنت مستلقيا ، وكانت صديقتي تمسح هنا على صدغي بخرقة مبللة ، وترجوني ان أهدأ ، ولكني لم أطق صبرا ، انهم ينادونني ، هاهي اصواتهم المتوسلة ، هاهي انانهم فـــي اذني ، في قلب اذني ، ان عيونهم المعلقة الابصار تسقط على وجهي فتشد كل عضلاته ، اني لاأطيق صبرا ياسيدي ، علي ان اهرع الى العمل ، الى العمل (يقفز في مكانه)

الملازم ـ (يغادر مكانه في تثاقل ، ويمسك به) ـ من هنا ـ الـــى الخـــارج ..

فرنسيس ـ (يائسا) لماذا ؟ انها هنا (يفلت منه ويخبط على باب غرفة العذيب) هنا ... انظن اني لاادري ؟ (يخبط الباب ويعلـــو صراخه) انظروني يا اصدقائي.. يا اصدقائي.. لماذا لا تفتحون؟.. لماذا؟ (يضرب برأسه وذراعيه على الباب ويشرع فجأة في الانتحاب) . خلصني ياسيدي ، باسم المسيح خلصني !

الملازم ـ (يحاول ان يبعده عن الباب) عليك ان تهدأ ايهـــا الصديق ، تعال هنـــا ...

فرنسيس ـ اوقف الجرس اذن ، انه هنا ، فوق قلبي ، خلص ذراعي انهما مشتبكتان ، علي ان اعمل (يبكي بصوت مسموع) علي ان اعمـل فلا مفر لي ... .

الملازم ـ فرنسيس ، ليس من احد هنا ؟...

فرنسيس ـ الا تخدعني ياسيدي ؟ لماذا اعلم اذن انهم هنا ؟

الملازم ـ اريد ان افتح الباب ؟

فرنسيس ـ افتحه ... .افتحه ، فلديك انت ، انت وحدك المفتاح ،

الملازم ـ فرنسيس ليس في يدي شيء ، انظر ، اني افتحهما مـــن اجلـــك .. .

فرنسيس ـ (يقعد على الارض في منتصف المسرح) سينتهي كـــل شيء اذن .. سوف يموتون حنينا الي ، ستظل ذراعاي مشتبكتين ... ياأصدقائي ، ياأصدقائي ..

الملازم ـ (مترفقا به) ، لقد ذهب اصدقاؤك في رحلة، في رحلة طويلة.

فرنسيس ـ ادري ، ادري ، وهانذا اندبهم ، لقد كان احدهم ساحر العينين ، كانت له عينان عسليتان مفمورتان بالاسى ، كان اكثرهم عطفـا علي، كان يناجيني بهما ، كانتا تحدثانني هكذا « .. امض في عملـــك ايها الصديق ، فلست الا آلة ، لماذا تخجل مني لماذا تخجل ايها الصديق ؟ إن أساي عظيم بسببك ، سوف اذرف رحمة بك دمعتي ، فقط دمعتي » (يبكي) كانتا اعز اصدقائي ، بحيرتان من الرحمة ، ومن يبكي رحمـــة بي الان ؟ من يعرف اسراري ؟ ياأصدقائي ، ياأصدقائي (يرفع وجهه الى الملازم) كان واحدا منهم فحسب ، الا ستطيع ان تدعني اعمل ؟ سوف ادير الالات بصوره افضل ، اني اعدك ياسيدي ، لماذا تبعدني ؟ لماذا ؟ لماذا تتركني لاسمع انينهم يتردد في صدري ، وابصر خلال الليل اذرعهـــم الممدودة الي ؟ وعيونهم النديانة ، الحلوة ، المدهوشة تلتمع كنجوم ساقطة فوق سريري ؟

الملازم ـ انك ترى رؤى ياصديقي ، فليس من شيء حقيقي فيما تقول.

فرنسيس ـ اتقول : « لقد ذهبوا » ؟

الملازم ـ لقد ذهبوا في رحلة طويلة ... .

فرنسيس ـ (يردد بآلية) في رحلة طويلة .. .

الملازم ـ الا تعود الان الى سريرك ؟.

فرنسيس ـ (ينهض ويحملق فيه بعينين زائغتين) اي سرير ياسيدي ؟ اني انام على جنوبهم ، وابكي بعيونهم ، واخرج من صدري انانهم الشاكية اني اريدهم ، اريد الا يهجروني ، سامضي خلفهم الساعة ، الان ، سامضي خلفهم ، رباه ، رباه ... الن تكف نجوم عيونهم عن السقوط ؟

الملازم ـ (يربت على كتفه) ماعليك الا ان تهدأ ... استرح قليلا ، سينتهي كل شيء .. .

فرنسيس ـ الا تريد ان تدلني على طريقهم ؟

الملازم ـ لم يعد ثمة من طريق ، انهم يمشون الان بأرجل نورانية ..

فرنسيس ـ علي ان امضي اذن ... برجلي الحقيقيتين (يحـــس رجليه) ، علي ان امضي (يتلفت حوله) اين هو الدرب ؟ من هنـــا (يهم ان يمضي باتجاه النظارة ، ثم يتوقف) رباه ، اني اسمع همســا حقيقيا من هنا ، انهم لايهمسون همس الناس الحقيقيين .. .ان همسهم يلوي القلب ، ان همسهم يجري في دمي . وعندما تنتبه الاذنان ينقطـع فورا ، الان ، اني اسمع باذني الحقيقيتين (يلتفت ثانية) اين هـــو دربي ، كيفا اتفق ، كيفما اتفق (يسقط على الارض ويقبلها في نشـوة ودموعه تسقط بدون انقطاع) هذا هو طريق ارجلهم الزاحفة في اعياء ، ارجلهم المكسورة ، المجرورة هي نفسها ، هذا هو طريقهم .. .كيفا اتفق على الدرب ياأصدقائي ؟ اني ابصر في كل مكان قطرات دموعكم ، قطرات عرقكم ، قطرات دمائكم ، انكم تنادونني خلف صفير الريح ، ووسوســة الاغصان ، وخرير الماء ، وانهمار المطر (ينهض ويندفع في اتجاه الباب ، يتوقف على العتبة ويخاطب اشخاصا غير منظورين) لستم هنا ، لستم هنا ، انكم مع الالات ، حيث هي ، مع المقصات ، والكلاليب ، والملافط ، انكم في قلب الاحواض المكهربة ، وعلى المحفات ، انكم دائما حيث تقتلـع الاظافر وتشوى الوجوه، وتكوى الجباه، وتنفخ المعدة على دربكم ياأصدقائي اواه ، اواه ، ولكن قدمي حافيتان ، قدمي حافيتان ...(يلطم وجهـه بكفيه ، ويندفع الى الخارج قبل ان يتمكن الملازم من امساكه) ..

(فترة ، يعود الملازم الى مقعده خلف الطاولة ثم ينظر عبر النافذة، ويعود ثانية الى الجلوس ، يتحدث في صوت هادىء متلون ، يهم بالنهوض من على المقعد مرات ، ولكنه لايفعل ، عندما يوجه النور العاكس الـــى وجهه تبدو ملامحه متعبة ، مكدودة ، كما هي عليه في الواقع ، ومـن الصعب تقدير مافي نبرة صوته من اليأس او التمرد ، ولكنه ما ان يفرغ من كلامه حتى يشعر النظارة انه انهى كل مايمكنه قوله ، دفعة واحـــدة والـى الابـــد ..

الملازم ـ اذا كان هناك رؤى ، فاني هنا في قلب الفاجعة ولا استطيع ان ابصر الا الاشياء الحقيقية ، ولا بد من انه النور الكاذب ، فمـــن خلفه احس بعبث الكون الازلي ولكني لا ادركه، انه النور الكاذب يقينا !.

كيف يقدر اذن لذلك الصبي ان يهتك امام ناظريه قميص الاشياء الخارجي وان يكمد النور المموه ، فيبصر دفعة واحدة ، كما ابصرت الفتاة ، وكما ابصر هذا الابله ، هذا السجان الخائر .. .اني اريد ان ابصر بدوري ، ولماذا اظن اذن ان ذلك سيكون ؟ العتمة والنور ، اما من شيء ثابت ؟ اما من شيء واحد ثابت ؟ اني اوجه اليكم الخطاب ، يا اصدقاء العذاب ، ايها الخارجون من اقبيتي وكهوف تعذيبي ، مروا الان امام ناظري ، اتكئوا على مساند الامكم الخارقة ، اغمروني بالرؤى المفزعة (يرق صوته) اني احن اليكم الساعة حنين الصحراء التي أصداها الله الى الماء ، فلماذا لا تأتون ؟ رباه ! اتكون الاشياء حقيقية مرة ، وغير حقيقية مرة اخرى ؟ لقد هزم جلادوكم ، وها انذا سيد الجلادين ، هانذا ، هانذا ... (يلتفت) هل ستحاربونني بسلاح الرعب ؟ هل تريدون ان توقظوا ضميري النائم ؟ هل تريدون العودة الي بأشكالكم الملوية ، لتملأوا نومي ؟ بأي سلاح ، بأي سلاح ، بأي سلاح ستقارعونني ؟ (فترة) لقد طرحتني أمي في الشارع ، تحت ارجل المارة المتزاحمة ، المتدافعة ، ونسيتني هناك ، وها انذا منسي دائما . ما شكلها ؟ ما شكل وجهها ؟ مالون عينيها ؟ من هي أمي ؟ ان ماتسمونه عطفا ، ورأفة ، وحبا، هذا الذي تنعمون به في بيوتكم ، وتحلمون بمصافحته عند عودتكم من الغربة ، ان ماتنتظرونه دائما ليس حقيقيا ، اتحاربونني بما هو ليس حقيقيا ؟ وانتم معتمدون على ما يدخره الرجل عادة في قلبه من هذه الاشياء ؟ اني لا ادخر شيئا ! كيف ادخر ما لم املك ؟ اشيحوا الان بوجوهكم عني ! اني لااريد رأفتكم ولا عطفكم ، اني كمحارب شريف ، اطلعكم على مافي يدي.من اسلحة ، لقد هزمتم امامي ، لان الصورة التي تحملونها عن الانسان لم تكن تنبىء عن شيء من ملامحي انا ، ان ضحكي مختلف ، وكذلك بكائي وكذلك الامي ، لقد ذقتم بين يدي مرة واحدة ، جرعة صغيرة مما اروى منه كل يوم . ومع ذلك ، فها انتم تأملون في ايقاعي ... لن اقع ياأصدقاء العذاب ، ولن يحرجكم ان تستخدموا كل اسلحتكم ضدي ، سأحمل على كتفي وحدي ، رسالة الرعب على هذه الارض الجافة ، لاني انا نفسي ابن الجفاف ، سأبل شفاهكم المتيبسة بقطرات الملح الثقيل ، بل سأضع الملح كتلا فوقها ، اني اسقيكم شرابي ، شرابي أنا ، اليس كل شيء مالحا ؟ فلماذا تحلمون بالعذوبة ؟ لقد كنت ممثلا فذا ، فقد خدعت رفاقي ، ورؤسائي ، وخدعت امنا فرنسا .. وهناك الالاف من امثالي ، اني لاأحلم بالمجد ، ولا بالنصر .... بل ربما اريد ان اعبر في الواقع ، كما كان يقول امامكم ذلك الابله ، المفتول الدماغ .. .الكولونيل ذاته ، اريد ان اعبر وعلى كتفي صرة الرعب الى الجانب الاخر ... الى اين ؟ الى اين ؟ لعلكم ذاهبون الى الله ، اني بدوري ذاهب الى الله .. عندما يقفل في وجهي الباب سأصرخ فيما بين عينيه الكبيرتين المحيطتين بجوانب الارض : لم تنسني ؟ الم تهملني ؟ الم تتركني وحيدا ، مرتعبا بين ارجل المارة المتزاحمة ؟ انزل اذن مرة اخرى الى الارض ، واحمل من اجلي ، من اجل افتدائي انا وحدي فحسب صليبك الخشبي ؟ وماذا سيرد علي وقتها ؟ سوف اذهب اليه ... ولكن احدا لم يعطني زهرة ، بلى ، لقد اعطيت ، اعطيت زهرة حقيقية مقطوفة بيد آثمة من مستنقع الاثم ، وهكذا فقد ازهرت الرذيلة في صدري ، اني اعني باللصوص ، والقتلة ، والسفاحين ، لانهم معنيون مثلي بحمل صرة الرعب فوق اكتافهم ، لانهم حقيقيون تماما ، لانهم مصححون منذ طفولتهم ولم يضطروا الى دخول مختبراتنا ... (يتردد لحظات) ولكني ـ منذ شهر ـ احس بمقدم الحزن ، منذ شهر تماما ، بعد ان جمدت تلك اللحظة في رأسي ، ولم تعد تبرحها ، منذ شهر وانا احس بان العتمة شرعت تزحف ، وتزحف ، وتزحف من منتصف صدري الى اعلى ، ولكن الى اين؟ ترى ايخالجني الساعة قلق حقيقي ؟ ترى أيحتال علي المضطهدون فيرسلون الي طفلا صغيرا قتلته تحت التعذيب ، وتحت انظار امه ووالده الحقيقي يهرع الي انا نفسي ، دون امه ودون الناس ، ليتعلق بقدمي ويحوطهما بذراعيه العاريتين المرتجفتين ، ويرسل صوبي نظرات عينيه المتوسلة ، أملا في ان يفر الي انا من دوار هذا الرعب الذي احدثه الموت حوله .. اترى سيتمزق كل شيء من حولي فأبصر حقيقة ؟ اتراني سأسقط ،تهزمني نظرات طفل ؟... تجدل لي قلبا صغيرا لم تطأه الاقدام من قبل وتلقيه في صدري ، اني احس بمقدم الحزن ، لان القلب الطفولي ينمو هنا ، (يدق على صدره) ينمو هنا ، وعندما يكبر وينضج كالثمرة الآنة ،عندها سوف اضحك ، وابكي ، واحب ، وأرغب ، كالاخرين تماما ، كالاخرين تماما ، عندها سيحرقني الغضب ، وستكتسحني امواجه ، سألقي بنفسي في وسط الظلمة لانتشل الطفل الاعمى ، وافتح عينيه على نور حقيقي ، حتى يكتشف خداع الاشياء وعبثها.. (يدير النور العاكس الى وجهه ويطبق عينيه) لماذا اريد ان ارى الظلمة المستترة وراء رقص النور الكاذب ، هذه اطياف قوس قزح ؟ وماذا بعد ؟ لاشيء ، لاشيء (يفتح عينيه ويدير النور العاكس ثانية) ياآلهي ... لماذا تعطيني ـ بعد ان عرفت الشر ـ قلب طفل جديد ؟ ياآلهي ... لماذا تريد ان اكرهك ؟ لماذا تريد ان امشي بقدمين حافيتين فوق بركان الارض الملتهب ، يا الهي لماذا تريد ان يمتلىء قلبي بالعطف والشفقة والمحبة ، والحرارة ؟ لماذا لاتدعه باردا كثلوج القطب ، لماذا تبلل شفتي بحلاوة الماء العذب فتنكرني عبر سني الطوال الجافة ، المالحة ، بان هناك قطرات من الامل ، ياآلهي لماذا تريد خداعي ؟ ان عالمك تافه ، مريض ، ومجنون ، فلماذا تضطرني ـ كما تضطر الاطفال ـ الى ان يسمعوا رنين الاجراس الملائكية في آذانهم ، ويحلموا بتفتح الازاهير المرتجفة فيما حولهم ، ويبتسموا عندما تطبق اجفانهم الصغيرة من اجل زمن لن يصير يوما ؟ ياآلهي ! لماذا لاتتركني وحيدا ، مهجورا ، فوق ارض الملح ، حاملا صرة رعبي ، بدون ظما حقيقي وايضا ، وايضا ايها الاله الصامت ، الساخر العينين ، بدون جنة سرابية. اتركني .. اتركني .. اتركني ! فلم ارو من بين يديك ، ولم اظمأ ، ولم تتراقص امام عيني الزائفتين المحروقتين بسعير الرغبة ، بحيرات السراب، ياآلهي ، اني ارفضك ، فلماذا تتعلق بثوبي ، كطفل صغير ، وتتضرع الي بعينيك البريئتين ، وترغب في ان احميك ؟ لقد جاء الغضب ، لقد جاء الغضب ، كما يجيء الاعصار ، سوف تتحطم مخلوقاتك الهشة ، كما تتحطم اواني الزجاج الرقيقة ، مرة ، ومرة ، ومرة ، ... .والى الابد ! كان ينقصني الحزن ، وانا اعبر ، ولكن عينيك الحلوتين ، العابثتين ، البريئتين ، ولكن عيني الطفل المتضرعتين ، جدلتا لي قلبا رقيقا والقتاه في صدري ! اني اعبر الان من خلال زجاجياتك الهشة المحطمة ، ولكن، ولكن مع الحزن ... (ينكب برأسه على المنضدة ، ويمرغه فوق زجاجها) اواه، اواه ، عندما يكتمل هذا الشيء الجديد في صدري ، سوف اخرج من كهوفي لاواجه العتمة الحقيقية في قلب النور ، سوف اتخلى عن ماضي ، سوف ارفض كل شيء ، كل شيء ، كل شيء بدون استثناء ... سوف (يرفع وجهه الباكي المندى وتبدو عيناه ممتلئتين بالدموع) سوف أقتل ...

(يسقط ستار الختام تدريجيا ، مع المقاطع النهائية لخطاب اللازم)

اللاذقية — **مصطفى الحلاج**